

حفظ الفروع وتضييع الأصول

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي مَنَّ على عباده بنعمة الإسلام، أحمده -سبحانه- لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأفهام، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدُ الله ورسوله، بيّن للأمة أصولَ وفروعَ هذا الدين، وأركانَه العظامَ، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ، وعلى آله وصحبه، الأئمة المتقين الأبرار الأعلام، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ ما تعاقبت الليالي والأيام.

أما بعدُ: فاتقوا الله -عبادَ الله-، فإن التقوى سبيل الأيقاظ، ونَهَجُ أولي النُّهى، وطريق أولي الأبصار، فيها الأمنُ مِنَ العثارِ، والفوزُ بالجنةِ، والنجاةُ من النارِ؛ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ [النُّور: 52].

أيها المسلمون: حين تستحكم الآفات، وتستشري العلل، وتكثر الأدواء، تضطرب عند ذلك الألباب، وتلتاث العقول، وتحرار الأفهام فتنأى بالمرء عن سلوك الجادة، وتحيد به عن الصراط، وتُحدث في نظام الحياة فسادًا عريضًا، حيث يشيع الخلل، ويفشو العوج، وتختل الموازين، وتنعكس الأمور؛ فيقدم المؤخر، ويؤخر المقدم، وتصغر العظام، وتعظم الصغائر، وتحفظ الفروع وتضييع الأصول.

وإن في دُنيا الواقع -يا عبادَ الله- مِنْ صُورَ حفظ الفروع وتضييع الأصول ما لا يكاد يحصى من الصُّور؛ فترى في الناس من يجتهد في ألوان القربات ليله ونهاره، ليزدلف بها إلى مولاه، ويحظى عنده بالدرجات العلا والنعيم المقيم، لكنّه يقرن ذلك بما يُفسد عليه جَدّه ونصبه، ويُحيط عمله واجتهاده، حين يشرك بالله غيره؛ بدعاء أو باستعانة أو باستغاثة، أو بذبح أو بنذر أو بصرف أي نوع من أنواع العبادة التي هي حق خالص لله، لا يجوز صرف شيء منه لغيره -سبحانه-، وحين يأتي كاهنًا أو عرافًا فيسأله ويصدقّه، وحين يعلق تميمة أو ودعة يستدفع بها

بزعمه الضر عن نفسه أو أهله وولده، مع أن الله -تعالى- قد بيّن لعباده في كتابه بواضح البيان أن عاقبة ما كان من هذا الإشراك شرًا أكبر، هو حبوط العمل، وفساده، وعدم انتفاع عامله به في الآخرة، وتحريم الجنة عليه، وجعل مأواه النار، فقال -سبحانه-: **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** [الزمر: 65]، وفي صحيح السنة أيضًا من البيان النبوي الرفيع لمآل هذا الأمر ما لا مزيد عليه، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بإسناد صحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: **"مَنْ أَتَى عَرَافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-"**، وأخرج الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه أيضًا بإسناد صحيح عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **"مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ."**

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْنَى بِإِقَامَةِ حُرُوفِ الْقُرْآنِ وَتَجْوِيدِهَا وَتَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالتَّلَاوَةِ، لَكِنَّهُ يُضَيِّعُ حُدُودَهُ، وَيُهْمِلُ الْعَمَلَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ، وَيُغْمِضُ الْأَجْفَانَ عَنْ تَدَبُّرِ مَعَانِيهِ وَالتَّأَثُّرِ بِعِظَاتِهِ، وَالاعْتِبَارِ بِقِصَصِهِ وَأَمْثَالِهِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَحْتَرِزُ مِنْ رَشَاشِ النِّجَاسَاتِ أَنْ يَصِيبَ ثِيَابَهُ شَيْءٌ مِنْهَا، لَكِنَّهُ لَا يَتَّقِي مِنْ غِيْبَةِ أَوْ نَمِيمَةٍ، أَوْ قَوْلِ زُورٍ، وَمَنْ يُكْثِرُ مِنَ الصَّدَقَاتِ لَكِنَّهُ لَا يَتَوَرَعُ عَنْ مَالٍ حَرَامٍ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ وَيَصُومُ النَّهَارَ، لَكِنَّهُ يُوْذِي جِرَانَهُ، وَيَتَعَدَّى عَلَى حَقُوقِهِمْ، وَيَسْتَطِيلُ فِي أَعْرَاضِهِمْ حَتَّى تَكُونَ جِيرَتُهُ عَلَيْهِمْ هَمًّا ثَقِيلًا، وَشَرًّا مُسْتَطِيرًا وَبَلَاءً عَظِيمًا.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْرُ مَعَارِفَهُ وَعُشْرَاءَهُ بِإِقَامَةِ أَوْثَقِ الْعِلَاقِ مَعَهُمْ، لَكِنَّهُ يَعْقُ وَالِدِيهِ، وَيَقْطَعُ رَحِمَهُ، وَيَتَبَرَّأُ مِنْ قَرَابَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُودُ عَلَى الْفَقِيرِ الْبَعِيدِ، لَكِنَّهُ يَدْعُ أَهْلَ بَيْتِهِ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، أَوْ يَضِيقُ عَلَيْهِمْ فِي النِّفْقَةِ الْوَاجِبَةِ، فَلَا يَعْطِيهِمْ مَا يَكْفِيهِمْ بِالْمَعْرُوفِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَصُونُ لِبَاسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَفَرَّاشِهِ عَنِ الْأَدْناسِ وَالْأَقْدَارِ، لَكِنَّهُ لَا يَحْفَظُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ عَنِ التَّلَوُّثِ بِأَرْجَاسِ الْحَرَامِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَطِيعُ فِي صِغَارِ الْأُمُورِ دُونَ كِبَارِهَا، وَفِي مَا تَخَفُ عَلَيْهِ مَوْثِقَتُهُ دُونَ مَا عَلَيْهِ فِيهِ مَشَقَّةٌ، قَالَ الْعَلَامَةُ بْنُ الْجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وَفِي النَّاسِ مِنْ هَذِهِ الْفَنُونِ -أَيِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِحِفْظِ الْفُرُوعِ وَتَضْيِيعِ الْأَصُولِ- مِمَّا رَأَيْنَاهُ عَجَائِبَ يَطُولُ ذِكْرُهَا."

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّهُ لَا رَيْبَ أَنْ مَبْعَثَ هَذَا الانْحِرَافِ وَمَصْدَرُ هَذَا الْعِوَجِ فِي تَضْيِيعِ الْأَصُولِ وَحِفْظِ الْفُرُوعِ إِنَّمَا هُوَ الْخُضُوعُ لِسُلْطَانِ الْعَادَاتِ، وَالْإِذْعَانُ لِيَمْنَةِ الْأَعْرَافِ، بَعِيدًا عَنْ أَنْوَارِ الْوَحْيَيْنِ، قَصِيًّا عَنْ ضَوَابِطِ التَّنْزِيلَيْنِ، وَكَذَا اتِّبَاعُ الْهَوَى بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، وَكَذَا جَهْلُ بَدِينِ اللَّهِ وَقِلَّةُ النَّاصِحِ وَندرة المعين.

أَلَا وَإِنْ الْمَخْرَجُ مِنْ كُلِّ أَوْلَئِكَ -يَا عِبَادَ اللَّهِ- لَا يَكُونُ إِلَّا بِدَوَاءِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ أَمَّا الْعِلْمُ فَإِنَّهُ يَقِفُ صَاحِبَهُ عَلَى الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ وَالْأُسُسِ الَّتِي تَبْتَنِي عَلَيْهَا الْفُرُوعُ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا الْجَزْئِيَّاتُ، وَيُنْشِئُ لَهُ فِكْرًا مَنْظَمًا مَنْضَبُطًا، يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَيَعْرِفُ لِلْأَعْمَالِ مَرَاتِبَهَا وَمَنَازِلَهَا، وَأَمَّا الْعَمَلُ فَلأنَّهُ يَقَعُ صَحِيحًا مُوَافِقًا لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ، مَاضِيًا عَلَى نَهْجِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، سَعِيدًا بِالْقَبُولِ، مَبْلَغًا كُلَّ مَأْمُولٍ.

وَإِنْ مَخَالَفَةُ الْهَوَى وَالْاجْتِهَادُ فِي ضَبْطِ الْأَعْرَافِ وَالْعَادَاتِ بِضَوَابِطِ الشَّرْعِ مِمَّا يَرْجَى أَنْ يَسْتَصْلِحَ بِهِ هَذَا الانْحِرَافُ، وَيُقَامَ بِهِ هَذَا الْعِوَجُ، وَيُثَوِّبَ بِهِ الْمُسْلِمَ إِلَى طَرِيقِ دِينِهِ الْقَوِيمِ.

نَفْعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ كِتَابِهِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِكافة المسلمين من كل ذنب، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

O Muslims, when problems become many and sicknesses spread, people get confused, their minds become lost, and they can't think clearly. This makes them move away from the right path and brings a lot of corruption in life. Right becomes wrong, and wrong becomes right. Big things are treated as small, and small things are made big. People take care of the small details but forget the most important parts of religion. Branches are preserved while fundamentals are lost

Dear servants of Allah, we see countless examples of preserving branches and neglecting foundations in our reality. You'll find people striving night and day in acts of devotion to seek nearness to their Lord and earn the highest ranks in Paradise—yet they spoil their efforts by associating others with Allah through supplication, seeking help or rescue, offering sacrifices, or making vows to others besides Him. These acts, which are forms of worship due only to Allah, must not be directed to any other being. Or you find one visiting fortune-tellers or soothsayers, believing them, or hanging amulets to protect themselves or their families—thinking they prevent harm—though Allah has clearly stated that such acts of **major shirk** (associating partners with Him) nullify good deeds, render efforts void, and make Paradise forbidden for the doer, whose final abode is Hell. Allah says:

“And it was already revealed to you and to those before you that if you associate others [with Allah], your deeds will surely be in vain, and you will surely be among the losers.” [Az-Zumar: 65]

Also, in the authentic Sunnah, the consequences of such acts are clearly stated. Imam Ahmad and Al-Hakim narrated with a sound chain that the Prophet ﷺ said: **“Whoever goes to a soothsayer or a fortune-teller and believes what he says, has disbelieved in what was revealed to Muhammad ﷺ.”**

And he ﷺ said: **“Whoever hangs an amulet has committed shirk.”** (Narrated by Ahmad and Al-Hakim from ‘Uqbah ibn ‘Amir)

You find people perfecting the recitation of the Qur'an, improving their tone and pronunciation, yet neglecting its limits, ignoring the implementation of its rulings, closing their eyes to its meanings, and failing to reflect on its messages or heed its examples.

Some people are extremely cautious of physical impurities touching their clothes, but are careless with sins of the tongue like backbiting, gossip, or false testimony. Some give frequent charity, but consume unlawful wealth without restraint.

Others pray by night and fast by day but harm their neighbors, violate their rights, and abuse their honor—making their presence a burden and a calamity.

Some maintain close ties with friends and acquaintances, but sever the bonds of kinship, disrespect parents, and cut off their relatives.

Some are generous to distant poor people, but leave their own families in need, denying them obligatory support and provision.

Some meticulously protect their clothes, vehicles, and homes from dirt and filth, but let their ears and eyes indulge in the filth of the unlawful.

Others are obedient in small matters, but neglect major commands; they follow what is easy and convenient, but abandon what is difficult and demanding. Ibn al-Jawzi رحمه الله said, “Among the people are astonishing examples of such behavior—it would take volumes to recount them.”

O servants of Allah, there is no doubt that the root of this deviation and imbalance—this preserving of branches and abandoning of fundamentals—lies in submission to cultural norms and habits without the guidance of revelation, and in following desires without divine guidance. It is also the result of ignorance about the religion, the scarcity of sincere advice, and the lack of those who assist in reform.

The only way out of all this is through **knowledge and righteous action**.

Knowledge helps one understand the foundations on which rulings and practices are built, allowing for clear, orderly thinking that assigns every matter its rightful place and value.

And righteous action ensures one’s deeds are correct, in line with the Shariah, consistent with the way of the Prophet ﷺ, and thus accepted by Allah and fruitful in the Hereafter.

Resisting personal desires and disciplining customs and traditions with the standards of Shariah is among the best ways to correct this deviation, restore balance, and bring a Muslim back to the sound path of his religion.